ذكرى يوم الولاية (١٨ ذو الحجة)

الولاية في الإسلام

مدخل إلى فهم الولاية في الاسلام

الخصائص العامة للولاية

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾(٥٥ المائدة).

امتداد لولاية اللّه والرسول والإمام علي:

يقول السيد حسين رضوان الله عليه:

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ﴾ الذي يجب أن تتولوه فقط اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (المائدة: من الآية ٥٥). وليكم الذي تعتصمون به، وتلجئون إليه، وتستنصرون به الله سبحانه وتعالى، هو من يجب أن تتولوه، وتكونوا معه وتتبعوه، وتطيعوه، ﴿وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ الآية هنا تبين بأن ولاية الله سبحانه وتعالى في هذه الأرض التي تتجلى على يد نبي من أنبيائه، أو ولي من أوليائه إنما هي امتداد لولايته سبحانه وتعالى، امتداد لولايته، امتداد لسلطانه، لهذا جاءت بعبارة واحدة ﴿وَلِيُّكُمُ﴾ ولم تأت بعبارة الجمع فيقول: أولياؤكم مثلاً، ﴿وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ﴾؛ لأنها ولاية واحدة، ولاية رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) هي امتداد لولاية الله، ولاية الإمام علي هي امتداد لولاية رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، باعتبار الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، ومن بعده الإمام علي امتداد لسلطان الله هنا في الأرض(١).

تقوم على أساس الرحمة والرعاية والتربية للأمة:

هنا يعطينا فهماً بالنسبة للولاية في الإسلام، عندما نقول: السلطة في الإسلام كيف هي؟ عندما تعود إلى القرآن الكريم ترى في سور كثيرة، في آيات كثيرة، وعندما تعود أيضاً إلى واقع الحياة، تتأمل في السماوات والأرض وما بينهما من خلق الله تجد أن ولاية الله سبحانه وتعالى هي ولاية رحمة، ولاية رعاية، ولاية تربية، ليست مجرد سلطة هكذا، سلطة قاسية، أوامر ونواهي فقط، ولاية رحمة بكل ما تعنيه الكلمة. عندما تأتي إلى الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) وتتعرف عليه من خلال القرآن الكريم، ومن خلال ما نعلمه من سيرته

(١) سورة المائدة – الدرس الثالث والعشرون/ ص١.

(صلوات الله عليه وعلى آله) تجد أيضا أنه كان يجسد هذه الولاية ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]. عندما تأتي إلى ولاية الإمام علي نفس الشيء[٢].

ولاية شاملة ولا تنحصر في السلطة السياسية والتنفيذية:

يقول السيد حسين رضوان الله عليه:

إذاً فهذا هو مفهوم الولاية في الإسلام، وهذه هي مهام الولاية في الإسلام، ليست فقط سلطة تنفيذية، سلطة أوامر ونواهي جافة، وتجبر وتسلط وقهر، وأشياء من هذه.. أبداً؛ لأنه فعلاً يحصل تساؤلات كثيرة حول النظام السياسي في الإسلام، أو حول السلطة السياسية في الإسلام، وأشياء من هذه، هو أساساً السؤال من أصله غير صحيح؛ لأنه في واقع الناس ليس هناك فصل ما بين سياسة، واقتصاد، واجتماع، وثقافة، وتربية، ورعاية، وأشياء من هذه، ليس هناك فصل فيما بينها. من أين جاء ترسيخ السلطة وكأنها فقط ما نسميها: سلطة سياسية فقط، سلطة تنفيذية لأوامر ونواهي وتسلط فقط؟!

إنما جاءت عندما برز في الحياة هذه النوعية فعلاً، وعندما كان من يتزعمون البشر في مختلف مراحل التاريخ من النوعية التي لا تمتلك أي رؤية أخرى، ولا قدرة أخرى فيما يتعلق بالرعاية، والتربية، والتثقيف وغيرها، لا يمتلكون شيئاً، لا يمتلك إلا القهر والسلطة[٣].

**

ولاحظ هنا في القرآن الكريم، ألم يقدم موضوع ولاية الأمر قضية تتركز بشكل أساسي على موضوع الكتاب، على موضوع الهداية، والتربية، وبناء الأمة، ليست الأشياء التي يسمونها الآن سلطة تنفيذية إلا جوانب قد تكون ربما لا تمثل إلا عشرة في المائة، قد لا تمثل فعلاً باعتبارها تنفيذية، إلا عشرة في المائة من مهام ولاية الأمر، في الإسلام، وأن هذا الجانب هو الجانب الذي سيخفق فيه أي شخص ليس ممن اختاره الله كائناً من كان، سواءً من داخل أهل البيت، أو من خارجهم، سيخفق فيه، الجانب الآخر هذا مهما كان، أما الجانب الثاني: السلطة التنفيذية فيمكن أي واحد [يديول] لكن في الأخير انظر كيف آثار هذه الديولة في تاريخ الأمة من ذلك الزمن إلى الآن، كيف أصبحت الأمة هذه!؟[٤].

---

(٢) سورة المائدة – الدرس الثالث والعشرون/ ص١.
(٣) سورة المائدة – الدرس الثالث والعشرون/ ص١.
(٤) سورة المائدة – الدرس الثالث والعشرون/ ص٧.

تقوم على أساس تكريم الانسان والسمو به:

لم تقدم ولاية الأمر في الإسلام بالشكل الذي يحس الإنسان بحالة من الكبت، أو القهر، أو ضعة النفس، مثلما يحصل في ظل حكام الطاغوت، ما تحصل هذه على الإطلاق.

ألم يكن الإمام علي – وهو في الكوفة – بالشكل الذي بعضهم يتعاملون معه كأي شخص آخر؟ لكن يأتي معاوية، أو آخرون، وإذا كل واحد يشعر بأنه هناك، ضعة، تحطيم للنفوس، نسف للتكريم للإنسان لأن الله جعل ولاية أمر عباده بالشكل الذي يكون لائقاً مع تكريمهم، فإذا كانوا كرماء فليسيروا على هديه وإلا فليسوا كرماء سيدوسهم الآخرون، سيحكمهم من يليق بمثلهم.

ولهذا كان أثر معروف ما أدري هل حديث معين، أو أثر، المهم أنه مقولة واقعية: [كيفما تكونوا يولى عليكم] أنتم كرماء لن تقبلوا إلا كرماء، أنتم ما عندكم اهتمام بالجانب هذا، أي نفوس منحطة، لا تبالي، سيأتي لكم من نوعكم ﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً﴾ (الأنعام: من الآية١٢٩) هذه القضية ثابتة، وإلا فالإمام علي كان يستطيع أن يحكم العالم كله بطريقة معاوية ولا أحد يتجرأ أن يخالفه، ولا أحد يجرؤ أن يخرج عن صفه؛ لكن يكون فيها ماذا؟ خوف عند كل واحد حتى لا أحد يوشي به عند السلطان، لا يأتي أحد يلفق عليه قضية، لا يقدّر ربما أنه متآمر عليه، فيمسحه، أشياء من هذه.

يعيش الناس نفوساً منحطة، النفوس المنحطة في الأخير لا تعود جديرة بأن تنهض بالمسؤولية، لهذا لاحظ الآن الشعوب العربية الآن كيف واقعها؟ أليست شعوباً ضرب تكريمها، ضربت كرامتها من قِبل حكامها حتى في الأخير لم يعد موجود عندهم عزة نفس، ولا كرامة بأن يكونوا مستعدين أن يواجهوا العدو الآخر مهما كان سوءه أبداً؟ نفوس قد روضت على الإذلال والإهانة، والإحتقار حتى أصبحت لا تعد تبالي يحكمها من يحكمها.

فالتربية الإسلامية هي بالشكل الذي يجعل الأمة، يحمل الناس فيها نفوساً رفيعة، يشعرون بطمأنينة، يشعرون بتكريم، لا يخاف على نفسه، لا يخاف من مجرد كلمة تقال عليه، لا يوجد قتل على التهمة، والظنة كما يعمل الآخرون، لأن النفوس الرفيعة هذه تكون هي الجديرة بأن تكون ماذا؟ تواجه الأعداء الخارجيين، وترفض أي طغيان يريد أن يتحكم عليها، ويفرض نفسه عليها.[٥]

(٥) سورة البقرة – الدرس الحادي عشر/ ص٨.

يقول السيد حسين رضوان الله عليه:

الإمام علي (صلوات الله عليه) هل كان إنساناً ضعيفاً نفسياً؟ لم يكن ضعيفاً نفسياً على الإطلاق، كان قوياً، كان بإمكانه أن يخضع أهل العراق، ويخضع الجزيرة هذه، ويخضع كل البلاد الإسلامية، ويدير الأمور بشكل أقسى مما عمل معاوية، أليس هو يستطيع أن يعمل هذه؟ لكن اقرأ ما الذي ترك معاوية، وما الذي ترك الإمام علي، عندما تقرأ في نهج البلاغة تجد كيف ترك حتى فيما يتعلق بالوعي السياسي للناس، ترك تراثاً هاماً جداً، مثل عهده إلى مالك الأشتر، تجد نصوص خطبه وتوجيهاته – مع أنه قد يكون فقط قليل، ما وصل إلينا في نهج البلاغة قليل – كيف هو فعلاً عمل الإنسان الذي يفهم السلطة في الإسلام ما هي، يفهم الدين من حيث هو بالنسبة للإنسان ما هو دوره، أن الله كرم الإنسان ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (الإسراء من الآية: ٧٠) فيجب أن يكون الحكم للناس بالشكل الذي يسمو بهم، يكون متناسباً مع تكريم الله لهم، وليس بالشكل الذي يحطهم، ويقهرهم، ويذل نفسياتهم؛ ولهذا أصبح جانب كبير من المسؤولية على نفس الأمة، على نفس الناس؛ لأن القضية هنا إضافة إلى خبرة إدارية، وخبرة تربوية، وتوجيهية بالنسبة لمن يلي أمرها لازم بالنسبة لها هي أن يكون لديها وعي، هو أن تعرف بأن من الأفضل لك أن تعيش في سلطة فيها مثل الإمام علي (صلوات الله عليه) لا تخاف أنه يمكن أن يظلمك، لا تخاف أنه بمجرد وشاية معينة إليه يمكن أن يسجنك، أو يقتلك، لا تخاف أن جواسيسه بعدك أينما ذهبت، لا تلمس أي خوف في نفسك، ولا أي شعور بقهر وإذلال ممن يحكمك، أليس هذا الذي يتناسب مع كرامة الإنسان؟(٦).

تقوم على قضية الهداية وبناء الامة في كل المجالات:

الولاية في الإسلام، السلطة في الإسلام هي أرقى بكثير مما عليه واقع البشر، أرقى بكثير في مهام من يلي أمر الأمة. تجد أنه عندما تتأمل ولاية الله سبحانه وتعالى لشؤون عباده فولاية من يلي أمر الأمة هي امتداد لولاية الله، يجب أن يكون عنده رحمة، يجب أن يكون عارفاً كيف يربي الأمة، يجب أن يكون عارفاً كيف يبني الأمة، كيف يطور حياتها، كيف ينمي اقتصادها، كيف يزكي أنفسها، كيف يواجه أعداءها، أشياء واسعة جداً، جداً.

تجد هذه ألم تكن هي أبرز الأشياء بالنسبة للرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) والإمام علي؟ ما الذي كان بارزاً بالنسبة لشخصيتهم كأولياء لأمر الأمة؟ هل كان البارز موضوع التسلط والقهر، أو هذا الجانب الآخر، جانب الرعاية والتعليم والتزكية؟ ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ

(٦) سورة المائدة – الدرس الثالث والعشرون/ ص٣.

﴿وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ (البقرة من الآية: ١٢٩) جانب تربيتهم؛ لينشئوا أمة على مستوى عالي، هذه المهمة هي التي كانت بارزة في شخصية الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) في ممارساته وسلوكه مع الناس الذين هو أولى بهم من أنفسهم ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ (الأحزاب: من الآية: ٦) [٧]

يقول السيد حسين رضوان الله عليه:

ولاحظ هنا في القرآن الكريم، ألم يقدم موضوع ولاية الأمر قضية تتركز بشكل أساسي على موضوع الكتاب، على موضوع الهداية، والتربية، وبناء الأمة، ليست الأشياء التي يسمونها الآن سلطة تنفيذية إلا جوانب قد تكون ربما لا تمثل إلا عشرة في المائة، قد لا تمثل فعلاً باعتبارها تنفيذية، إلا عشرة في المائة من مهام ولاية الأمر، في الإسلام، وأن هذا الجانب هو الجانب الذي سيخفق فيه أي شخص ليس ممن اختاره الله كائناً من كان، سواءً من داخل أهل البيت، أو من خارجهم، سيخفق فيه، الجانب الآخر هذا مهما كان، أما الجانب الثاني: السلطة التنفيذية فيمكن أي واحد [يديول] لكن في الأخير انظر كيف آثار هذه الديولة في تاريخ الأمة من ذلك الزمن إلى الآن، كيف أصبحت الأمة هذه!؟. [٨]

تقوم على أساس العدل:

نبي الله إبراهيم، ونبي الله موسى، وعيسى، وكل الأنبياء هم ما يزالون يعطون من خلال ما عرضه الله من حركتهم، من أعمالهم، من مواقفهم، فيها ما يستلهم الإنسان منها الأشياء العظيمة، في مجال العمل، في مجال الحركة، في مجال الإخلاص لله، والتوجه إلى الله سبحانه وتعالى.

﴿اَلَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ (البقرة: من الآية١٢٤) نبي الله إبراهيم وهو يعرف عظمة دين الله سبحانه وتعالى هو يعرف أنها سنة إلهية لا بد أن يكون للناس أئمة يهتدون بهم ﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ (البقرة: من الآية١٢٤) أي: واجعل من ذريتي، نبي الله إبراهيم يعرف أن المسألة هنا ليست مسألة منصب متوارث، منصب متوارث، أو مؤهلات فردية، أنها: قضية هي مختصة بالله، هو الذي يجعل، هو قال هناك: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً﴾ (البقرة: من الآية١٢٤) هل قال: [إذاً ما دام قد جعلني للناس إماماً إذاً قد الجهال الكبير الكبير سوف يتحولون أئمة؟] هو يعلم أنها قضية

(٧) سورة المائدة - الدرس الثالث والعشرون/ ص٢.
(٨) سورة المائدة - الدرس الثالث والعشرون/ ص٧.

يختص بها الله سبحانه وتعالى، وليست عبارة عن إعطاء منصب بقرار: أن هذا ولي العهد، فيكون هو الملك من بعد، أو أن هذا هو الإمام من بعد بمجرد قرار!.

إن الله هو الذي يجعل هنا قال: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ (البقرة: من الآية١٢٤) أي: واجعل يا إلهي من ذريتي أئمة للناس ﴿قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: من الآية١٢٤) لاحظ خطورة المسألة هنا من خلال مقت الله سبحانه وتعالى للظالمين، وكيف يجب أن يكونوا بعيدين كل البعد عن ولاية أمر الناس، عن أن يقدموا أنفسهم كهداة للناس، أو قادة للناس، ما هنا برزت أول عبارة قبل أن يقول تمام؟ لم يعد يظهر إلا في مضمونها إقرار أنه سيجعل من ذريته أئمة، في مضمون العبارة هذه التي تكشف أهمية كبيرة عن ماذا؟ عن خطورة الظالمين، وعن بعدهم أنه يجب أن يكونوا بعيدين على مسافات شاسعة جداً عن ماذا؟ عن أن يكونوا أئمة للناس.

أيضاً قال مما يؤكد أن المسألة هي اختصاص إلهي: عهدي، ﴿لا يَنَالُ عَهْدِي﴾ (البقرة: من الآية١٢٤) ألم يسمه عهده؟ أي لن يعهد إليهم، ولن يعهد إليهم ليس معناه: فقط أن لا يعطي قراراً، قضية أن يعهد هي الإعطاء، وفي نفس الوقت اصطفاء، في نفس الوقت بناء لأن قوله: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً﴾ (البقرة: من الآية١٢٤) مثلما قلنا سابقاً ليست بمعنى قرار فقط، تأهيل لهذا الرجل أن يكون بالشكل الذي لا يزال يأتم به الأجيال جيلاً بعد جيل، ولا يزال يأتم به، ويستوحي منه، ويستلهم من مواقفه، وحركته، ومشاعره الأنبياء من بعده بما فيهم أعظم الأنبياء محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) [٩].

المجالات العامة للولاية

المجال المالي - المجال العسكري - المجال الثقافي والتربوي - المجال الخدمي

(هَـذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللهِ عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، مَالِكَ بْنَ الْحَارِثِ الْأَشْتَرَ فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ، حِينَ وَلاَّهُ مِصْرَ: جِبَايَةَ خَرَاجِهَا، وَجِهَادَ عَدُوِّهَا، وَاسْتِصْلاَحَ أَهْلِهَا، وَعِمَارَةَ بِلاَدِهَا.)

هنا قدم صورة واضحة عن المهام الأساسية للولاية في الإسلام، الشؤون كلها، شؤون المسؤولية في الإسلام، بكل جوانبها، سواءً الجانب المالي (جِبَايَةَ خَرَاجِهَا) أو الجانب الجهادي والعسكري (وَجِهَادَ عَدُوِّهَا) أو الجوانب الأخرى التي تشمل جوانب ثقافية وتربوية دائرة واسعة (وَاسْتِصْلاَحَ أَهْلِهَا)، عبارة تشمل كل ما فيه صلاحهم سواءً في الواقع الديني أو

(٩) سورة البقرة – الدرس السابع/ ص١٣.

الواقع الدنيوي، مع أنه سيأتي أيضا ما يخص الجانب الدنيوي والجانب الخدمي – إن صح التعبير – عبارة (وَعِمَارَةَ بِلاَدِهَا) تشمل، الجوانب الخدمية كلها.

هو هنا قدم مجالات واسعة عن المسؤولية في الإسلام بكل مجالاتها حتى عندما أتى بعبارة (وَجِهَادَ عَدُوِّهَا) تقديم العدو كعدو وهو يتحدث عن منطقة واحدة من مناطق ولايته هي مصر لم يقل له جهاد عدوك أنت يقول: (وَجِهَادَ عَدُوِّهَا) لان العدو، هو عدو للمجتمع نفسه، حتى تخصيص المجتمع بهذه لان العدو – العدو للدين – هو عدو للناس، عدو للأمة وحتى خطورته هي خطورة على الناس والموقف منه ليس على أساس النظرة إليه كعدو لك، حتى أمام المجتمع وكأنك تتصارع أنت وهو، والمجتمع هناك بمعزل ينتظر لمن تكون الغلبة له لكي يذعن له، لا. هو يمثل خطورة على الناس في حياتهم وفعلاً: كل من يعمل على الصد عن دين الله ويعادي منهج الله ويعمل على إزاحة أنصار الله عن إقامة منهج الله، هو يمثل خطورة على الناس، ويمثل ضراً كبيراً على الناس في واقع حياتهم، وهذه عبارة مهمة عندما قال: (وَجِهَادَ عَدُوِّهَا) فالمسؤولية شاملة هنا.

جباية الخراج تشمل: الجوانب المالية، والجهاد: الجوانب العسكرية وما إليها. (وَاسْتِصْلاَحَ أَهْلِهَا) كل ما فيه صلاحهم يشمل: الجوانب الثقافية يشمل الجوانب التربوية، يشمل دائرة واسعة مما يترتب عليه صلاح الناس (وَعِمَارَةَ بِلاَدِهَا) تشمل: كل الجوانب التي فيها إصلاح دنياهم وفيها أيضاً الجوانب الخدمية لهم في حياتهم ومعيشتهم، فالنظرة واسعة للمسؤولية في الإسلام تلحظ أنها في نهاية المطاف خدمة للناس ألم تصبح خدمة للناس؟ معناه مهمته أن يخدم هؤلاء الناس هذه كلها أشياء عائدها على من؟ عائدها لهم.

المسؤولية في الإسلام لا تجعلك هناك فوق الناس أو متسلطاً عليهم أو أنت الكاسب لنفسك، هي تقدمك في خدمة الناس ليس هناك شيء عائد إلى نفسه مصالح شخصية أو مكاسب معينة يحصل الإنسان عليها هو، أو يكون نظرته إلى المسؤولية أنها كما هو سائد الآن في هذا العصر وفي عصور ماضيه بالنسبة لمن هم بعيدون عن منهج الله ينظر إلى المسؤولية كمغنم وكوسيلة تسلط، واستعلاء على الآخرين.

من البداية من نفس تحديد هذه المهام، تنظر إلى المسؤولية أنها خدمة للآخرين أنت تتحرك في خدمة الآخرين فيما هو مصلحة لهم فيما هو فائدة لهم فيما هو نفع لهم فيما هو إحسان إليهم، تكون نظرتنا إلى المسؤولية هكذا في دين الله هي خدمة هي إحسان إلى الآخرين ليس فيها حالة تسلط أو استعلاء ليست مغنماً شخصياً للإنسان فيتحرك على هذا ألأساس.

ثم عندما يتحرك الإنسان لأداء المسؤولية بعد وضوح المسؤولية أمامك، عندما تتحمل

مسؤولية أنت خادم تتقلد هذا الشرف الكبير خدمة عباد الله والإحسان إلى عباد الله في شئونهم في أمورهم وعلى هذا ألأساس تتحرك وفق أسس ومبادئ مهمة جداً[١٠].

ولاية الإمام علي عليه السلام

حادثة الغدير

يقول السيد حسين رضوان الله عليه:

في مثل هذا اليوم من السنة العاشرة وبعد عودة الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) من حجة الوداع مع عشرات الآلاف من جموع المسلمين وقف في وادي [خُم] - منطقة بين مكة والمدينة وهي أقرب ما تكون إلى مكة - بعد أن نزل عليه قول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (المائدة:٦٧).

بعد نزول هذه الآية، وفي وقت الظهيرة، في وقت حرارة الشمس، وحرارة [الرَّمْضَاء] أعلن رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) لمن تقدم أن يعودوا، وانتظر في ذلك المكان حتى تكامل الجمع، وبعد ذلك رُصَّتْ له أقْتاب الإبل ليصْعَدَ عالياً فوقها؛ لتراه تلك الأمة - إن كان ينفعها ذلك - لتراه، لتشاهده، وهي تعرفه بشخصه، لترى علياً يد رسول الله رافعة ليده وهي تعرف شخص [علي]، ومن فوق تلك الأقتاب يعلن موضوعاً هاماً، يعلن قضية هامة هي قضية ولاية أمر هذه الأمة من بعده (صلى الله عليه وعلى آله وسلم).

عندما صعد وبعد أن رفع يد علي (عليه السلام) خطب خطبة عظيمة قال فيها - وهو الحديث الذي نريد أن نتحدث عنه اليوم باعتباره موضوع هذا اليوم، والحَدَث الهام في مثل هذا اليوم، وباعتباره أيضاً فضيلة عظيمة من فضائل الإمام علي (عليه السلام) - خطب رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) إلى أن وصل إلى الموضوع المقصود فقال: «**يا أيها الناس إن الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فهذا عليٌ مولاه، اللهم وَالِ من وَالاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، واخْذُل من خَذَله**»[١١].

(١٠) من دروس عهد مالك الاشتر الدرس الاول باختصار.

(١١) حديث الولاية - عيد الغدير/ ص١.

مكانة الإمام علي عليه السلام

عندما نعود إلى الرسالة الخاتمة إلى مسيرة الإسلام في أمتنا الإسلامية إلى الرموز والأعلام الذين حملوا الإسلام في قلوبهم وقدموا صورته الرائعة الحقيقية فيما تمثلوه والتزموا به من أخلاقه وتعاليمه وهم الرواد والطليعة والقادة والقدوة في مدرسة الإسلام الكبرى مقتفين أثر نبي الله وفي مقدمتهم الإمام علي (عليه السلام) ذلك التلميذ الوفي والمتميز للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وخريج مدرسة الإسلام الكبرى فكان أثر الرسول وأثر القرآن وأثر الإسلام بارزً في شخصيته في روحيته في سلوكياته في مواقفه في واقعه. بشكلٍ يقدم شهادةً على عظمة الإسلام على عظمة القرآن على عظمة نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ومنذ مشواره، منذ بداية مشواره مع الرسول صلوات الله عليه وعلى آله وسلم وبحكم ملازمته للنبي وارتباطه الوثيق بالنبي وتميزه ووعيه العالي، كان الإمام عليٌ (عليه السلام) سابقًا إلى الإسلام ليحوز فضيلة السبق ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۝١٠ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ سبق إلى الإسلام منذ انبثاق نوره ومن دون أي تردد أو تأخر أو تلكؤ دخل في الإسلام ودخل الإسلام فيه فكان كل قلبه وكل روحه وكل حياته لقد ذاب في الإسلام وامتزج به فكان خلقه الإسلام وكانت قضيته الإسلام، وكانت حياته للإسلام وكان الفدائي الأول في الإسلام.

**

منزلته تحددت في قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يخاطبه: «**أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي**» **فالنبوة اختتمت بخاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وآله وسلم لكن المنزلة المتميزة والفريدة التي كانت لهارون من موسى هي لعلي من محمد هذه منزلته وهذا مقامه وهذا ما قاله الرسول نفسه ليس استنتاجاً ولا احتجاجاً مذهبياً، الإمام علي (عليه السلام) من خلال هذه المنزلة وفي هذا الموقع وبهذا المستوى كان يمثل الامتداد الحقيقي للإسلام المحمدي الأصيل، الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال عنه: «علي مع القرآن والقرآن مع علي» قال عنه: «علي مع الحق والحق مع علي يدور معه حيثما دار»** فهو يمثل في مسيرة الإسلام امتدادا صافياً حقيقياً للإسلام المحمدي الأصيل والنموذج الراقي المتكامل الحقيقي للمسلم للمؤمن يقتدى به ويتأسى به وهو يقدم النموذج الراقي المتميز في مدرسة الرسول ومدرسة الإسلام الكبرى[١٢].

(١٢) خطاب ذكرى الولاية ١٤٣٣هـ.

أهمية تولي الامام علي

﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ أليس هذا الرقم الثالث ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ هو بداية التولي الحقيقي لرسول الله ثم لله سبحانه وتعالى على نحو تصاعدي، التولي للذين آمنوا تولياً صادقاً يجعلك فعلاً بالشكل الذي أنت فيه متولٍ للرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) والرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) عن هذه القناة يجعلك بالشكل الصحيح الذي تكون عليه صادق الولاء لله سبحانه وتعالى.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ أي ﴿وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾: وهم خاشعون، كما يقول المفسرون الآخرون لكن تعال إقرأها وأنت ممن يدين بولاية الإمام علي كم ترى فيها من أبواب الهداية في آية واحدة، لكن إذا لم يكن أمامك إلا أبا بكر لا يعطيك القرآن شيء بكله، بل تخرج منه وأنت ضال، تجعل القرآن حرباً لله سبحانه وتعالى، تخرج وأنت تعتقد بأن الله هو مصدر كل فاحشة، وكل ظلم بقضائه وقدره، تخرج منه وهو يوجب عليك طاعة أي ظالم يحكمك أو أي مجرم كيفما كان ما لم يظهر كفراً بواحاً؛ لأنه قال ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (النساء: من الآية ٥٩) وهذا هو أولي الأمر، هكذا يعطي تولي الآخرين ضربة للأمة من ذلك اليوم إلى الآن.

فمن هنا نعرف عندما يقول الإمام الهادي رحمة الله عليه: (إنه يجب على كل مسلم أن يتولى علي بن أبي طالب) على كل مسلم؛ لأن ولاية علي تعتبر حصناً مهماً بالنسبة لك، هل لمجرد اسم علي؟ لأن ولاية علي ستفتح أمامك آفاقاً واسعة في مجال الهداية، تفتح أمامك أبواب الهداية فتهتدي بالقرآن وتهتدي بالرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)؛ لأن «**علي مع القرآن والقرآن مع علي**». فمن هنا نعرف كيف كان مهماً فعلاً - باعتبار أن الإسلام هو دين يربي الناس، ودين هداية للناس - أن المهم هنا جداً جداً أن يُقدم علي بمواصفاته، بتلك الصفات التي تبين لنا أعماق أعماق نفسه، وتبين لنا كيف اهتماماته وكيف نظرته للدين وللأمة. ثم يأتي من يقول:[لماذا لم يذكر علياً باسمه؟ لو كان هو المراد لقال علياً]. هذه نظرة قاصرة جداً تعتبر من الأخطاء التي هي نتاج أخطاء ثقافية من هنا وهناك.

الشيء الثاني مما يمكن أن نستفيده من هذا: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ هو أن الأمة تحتاج إلى أعلام، ترتبط بهم - بهؤلاء الأعلام - هدايتها في دينها ودنياها، ولا بد أن يكون الله سبحانه وتعالى هو من يحدد، هو من يبين لنا من هم الأعلام من بعد نبيه (صلوات الله عليه وعلى آله) لنرتبط بهم، فمن خلالهم

نهتدي، وعلى أيديهم نهتدي؛ لأن المسألة ليست مسألة مفتوحة، إذا لم يضع هو سبحانه وتعالى فالآخرون سيضعون، بل وضعوا على الرغم من أنه قد وضع، سيضع أهل الباطل أعلاماً؛ لأن الباطل يحتاج إلى أعلام، هل تعرفون هذا؟. تقريبا عندما تجد القنوات نفسها أو الأساليب من حيث هي كلها أساليب واحدة.. الباطل يحتاج إلى أعلام فلهذا يحتاج أهل الباطل إلى أن يركزوا أمامك شخصيات أو مجاميع فيكبرونها وينمقونها، وينفضون التراب عن خدودها لتبدو أمامك لماعة؛ لتنفق بضاعتهم فينفق الباطل فينفق الضلال من خلالهم.

لا بد للإنسان من أعلام ومتى ما أنت حاولت أن تنصرف عن علي فإنك ستنصرف إلى عَلَمٍ آخر لا محالة(١٣).

**

لا يمكن أن تهتدي الأمة إلا على أيدي أعلام حتى تصبح بمستوى أن تكون حزب الله، أو أي مجموعة؛ ولهذا جاءت العبارة بلفظ ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ﴾ من يتولّ سواء الأمة بكلها أو مجاميع من الأمة تولياً صادقاً على هذا النحو العملي فسيجعلون أنفسهم حزب الله فعلاً.

أنهم بحاجة إلى أن يكونوا حزب الله ويكونوا غالبين لا بد أن يرتبطوا بأعلام، فالهداية التي هي في واقع النفوس فتسلم النفوس من أن ترتد بعد إيمانها، من أن توالي أعداءها لا بد لها من الارتباط بأعلام تتولاهم، وهي تهتدي في ميدان المواجهة للآخرين لا بد أن ترتبط بأولئك الأعلام الذين وضعهم الله سبحانه وتعالى ووضعهم رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) لنا من بعده أن نرتبط بهم حتى نهتدي في ميدان المواجهة؛ ولهذا قال هنا: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾.

فمن هنا نعرف كطلاب علم، ونعرف كمسلمين بصورة عامة أنه لا يمكن أن تتصور بأن باستطاعتك أنت شخصياً أن ترسم لك منهجاً وتسميه هداية من جهة نفسك، وتنطلق عليه وتظن أنك ستهتدي إذا لم ترتبط بأعلام للهدى، لا بد من الارتباط بأعلام للهدى تتولاهم وتذوب في شخصياتهم.

وهم بالطبع من يضعهم الله أعلاماً لأمته.. إنما يضعهم كاملين ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ (القصص: من الآية ٦٨) هو الذي يختار وليس لنا نحن أن نختار، هو الذي إذا آمنا بهذا المبدأ – مبدأ الكمال فارتبطنا بالله الكامل الكمال المطلق وارتبطنا برسوله الذي اصطفاه واختاره فأصبح كاملاً وارتبطنا على وفق هذا النهج بالكامل – فالله سبحانه

(١٣) سورة المائدة – الدرس الثاني/ ص١٤.

وتعالى هو الذي سيقدم لنا الكامل بدأً من علي عليه السلام.

حتى مقاييس الكمال هي دقيقة جداً جداً، ليس حتى في صلاحيتي أنا أن أقول: إذاً الكمال هو كذا كذا كذا.. إلى آخره، سيأتي آخرون يقولون: لا، الكمال كذا هو كذا وكذا.. الخ، نثق بالله ونثق برسوله ثم نمشي على ما يهدينا إليه، والله سبحانه وتعالى هو من سيضع لأمته أعلاماً يختارهم ويؤهلهم ليكونوا جديرين بهداية الأمة وجديرين بقيادتها.

ألم يكن علي عليه السلام هو الرمز الواحد من بين كل تلك المجاميع الكثيرة التي كانت تقف أمام النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) فبرز هو علماً حتى أصبح كل شخص من أولئك ملزماً بأن يتمسك بذلك العَلَم ويتولاه ويهتدي بهديه ويسير على نهجه.

هذه المسألة في حد ذاتها الإرتباط بمبدأ الكمال هو وحده الذي يعطي الضمانة بالنسبة لنا أن تبقى المسألة بيد الله سبحانه وتعالى، أن تبقى مسألة من هو الجدير بأن يهدينا، من هو الجدير بأن يَلِيَ أمرنا مرتبطة بالله سبحانه وتعالى كما قال الإمام الهادي عليه السلام: (أن الله هو الذي يختار، هو الذي يؤهل).

[إذا لم نعمل على] مراعاة الارتباط بهذا المبدأ العظيم الذي عمل القرآن الكريم على ترسيخه في أذهاننا فسيُقدم لنا أشخاص كثيرين، ويُقدم رموز كثير وهمييُّن لا يعتبرون كاملين ممن أختارهم الله سبحانه وتعالى، وليسوا جديرين باختياره.[١٤]

مفهوم التولي للإمام علي وأعلام الهدى

يقول السيد حسين:

ففي هذه الآية أرشد إلى تولي من نوع خاص ولطرف خاص: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (المائدة:٥٥).

إن المراد هنا: أن تتولى جهة، تولي تنظر إليها أنها الجهة التي تعتبر ولي أمرك ولاية أمر منها تتلقى الهداية، منها تتلقى التوجيهات، بها تقتدي، بها تهتدي؛ إن المقام مقام يتطلب هذا فعلاً، ولهذا قال بعدها: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (المائدة:٥٦) هو يفترض أننا يجب أن نكون في مقام تأهيل أنفسنا لنكون حزب الله ولنغلب، إذاً ماذا يعني هذا؟ هو أنك تبحث عن من تتولاه به تهتدي، به تقتدي، له تطيع، له تَأْتَمِر، له تتبع، منه تقتبس، به تتأسى. قيادة، ولاية أمر، هذه تختلف عن الولاية فيما بين المؤمنين أنفسهم ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ (التوبة: من الآية٧١) هذا هو جانب معناه أن

(١٤) سورة المائدة - الدرس الثاني/ص١٥.

يكونوا مع بعضهم أولياء بعض، أن يكونوا صفاً واحداً وموقفاً واحداً متعاونين متكاتفين كالجسد الواحد فيما بينهم، يَهُمّ بعضهم أمر بعض، تسودهم حالة من الألفة، من الأخوة، من المحبة.

لكن هنا يرشد إلى جانب الجهة التي تتولاها لتتلقى منها الهداية، تتلقى منها التوجيهات؛ لأنك عندما تريد أن تكون كما قال الله سبحانه وتعالى تريد أن تكون من حزبه أليس يعني هذا أنك تريد أن تكون جندياً من جنوده في مواجهة طائفة خبيثة من خلقه هم أهل الكتاب: اليهود والنصارى.. إذاً كيف جندي بدون قيادة؟ كيف جندي لا يتلقى أوامر ولا توجيهات من طرف معين؟ كيف يوجهك إلى أن تكون جندياً من جنوده فتكون واحداً من أفراد حزب يسمى [حزب الله] هو الحزب الموعود بالغلبة ثم لا يتحدث لك عن قيادته من هي؟ وكيف يجب أن تكون قيادته؟ هل هذا ممكن؟ لا يمكن لا يمكن؛ ولهذا قال هنا: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (المائدة: من الآية٥٦) حزب الله ماذا يعني؟ جنود، أليسوا جنود لله؟ جنود لله يسمون حزبه في ميدان المواجهة، في ميدان الصراع، في ميدان الكفاح بمختلف الوسائل.. كيف جنود بغير قيادة؟ هل هذا ممكن؟ هل ممكن لأي ملك من ملوك الدنيا أو زعيم من زعماء هذا العصر أن يرسل كتيبة إلى منطقة بغير قائد، هل هذا يحصل؟ يضعون قائداً حتى للطقم الواحد، سيارة واحدة يضعون لها قائداً، أليس هذا هو ما هو معروف؟.

هذا الذي قال عنه القرآن الكريم: ﴿هُدىً لِلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ﴾ (المائدة: من الآية١٦) ﴿يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ (الإسراء: من الآية٩) هو يهدينا إلى كيف نكون جنوداً في مقام مواجهة عليا، مواجهة على مستوى راقٍ، ثم لا يتحدث عن الجهة التي نتلقى منها التوجيهات، عن الجهة التي تقودنا، عن الجهة التي بها نقتدي، عن الجهة التي لها نطيع ونأتمر، هل هذا ممكن؟. لا يمكن، لا يمكن.

ولهذا تجد أنه كيف في الآيات في [سورة آل عمران] في مقام الحديث عن أهل الكتاب كيف وجهنا إلى نقطة مهمة هي: أن نكون متوحدين داخل من يجب أن يكونوا حزب الله ثم هنا يتحدث عن القيادة، القيادة هي تبدأ من عند ولي العباد هو الله سبحانه وتعالى.

قلنا في جلسة سابقة بأنه يبدو لمن يتأمل هذه الآيات التي تتحدث عن بني إسرائيل، وعن ما يراد للأمة في مواجهتها، وعن خطورة هذه القضية يبدو وكأن الله سبحانه وتعالى هو من يقود هو من يتصدر لقيادة المهمة فعلاً، ماذا يعني؟. وكأن القضية تولى رسم معالمها، تولى تبيينها بشكل يعني هو تولى قيادة - كما يقولون - [غرفة العمليات] تولى هو القيادة لخطورة القضية. فكيف لا يوجه؟

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾ تهتدون بهديه، تسيرون على تعليماته ووفق خططه في هذه المواجهة، أنتم يا من تريدون أن تكونوا حزبه لتغلبوا، وليكم الله ورسوله والذين آمنوا علي بن أبي طالب، فتولي علي بن أبي طالب هو تولي قدوة، تولي ولي أمر، تولي هادي للأمة من بعد نبيها (صلوات الله عليه وعلى آله). (١٥)

* *

المسألة هي مسألة ولاية هدى، ولاية اهتداء واقتداء من جهة عُليا، منها تتلقى الهداية، أنت يا من أنت جندي في ميدان المواجهة، من أنت تسمي نفسك أو تريد أن تكون من حزب الله يجب أن تتلقى من هذه الجهة، وأنت تتولاها ولاية اهتداء واقتداء، ولاية طاعة، ولاية أمر، إذاً فلا مجال لسحبها على الآخرين. لأننا هنا نخاطَب بخطاب يختلف نوعاً ما عن قول الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ (التوبة: من الآية٧١). (١٦)

من أبرز مهام الولاية في مدرسة الامام علي عليه السلام

إقامة العدل

عندما نأتي إلى بُعدٍ آخر من أبعاد شخصية عليّ، عليّ المؤمن المتكامل في إيمانه إلى عدله وهو عندما ولي أمر الأمة وأصبحت رقعة جغرافية واسعة تحت حكمه وسيطرته لم يستغل موقعه لا ليعزز ثروة لا ليملك نفوذاً لا ليظلم لا لينتقم لا ليتجبر؛ بل سعى بكل جهده وهو يحمل قِيَم الإسلام وأخلاق الإسلام ليحقق العدل ويقيم الحق في واقع الأمة مواجهاً كل المعاناة والشدائد والمشاق والصعاب والعوائق الكبيرة التي كانت أمامه وبخوفٍ كبير من أن يظلم أي ظلم، وقال كلمته المشهورة: «**والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملةٍ أسلبها جلب شعيرةٍ ما فعلت**» ما فعلت. هذه روحية الإسلام أخلاقه فهو من موقعه في السلطة وهو يلي أمر الأمة يخاف كل الخوف وبعيدٌ كل البعد ويحذر كل الحذر أن يكون من أي ظلم ولو بهذا المقدار، لو كان هناك من وراء قليل من الظلم أن يسلب نملةً شعيرةً حبة شعير نملةً واحدة يسلبها قطعة من حبة شعير وأن يكون ما يحققه بهذا الظلم القليل القليل مكاسب كبيرة جداً الأفلاك الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها ما فعلت لأنه يرى ولو كان ما يكون من مكاسب مادية أو سياسية وتكون الوسيلة إليها والسبيل للوصول إليها هو قليلٌ قليلٌ من الظلم ليس مقبولاً في أخلاق علي ولا مستساغاً ولا الغاية تبرر الوسيلة.

(١٥) سورة المائدة – الدرس الثالث/ ص٩.

(١٦) سورة المائدة – الدرس الثالث/ ص٩.

نأتي إلى كثير كثير ممن يحسبون على الإسلام توجهات قيادات تحت مسميات كثيرة مستعدون أن يهلكوا الأمة أن يصادروا الأمة أن يلحق بالأمة أي شيء مهما كان من الظلم أي قدر أي مستوى من الظلم مقابل أن يحصلوا على قليل قليل من المكاسب السياسية قليل قليل من المكاسب المادية، والإمام علي بروحيته العظيمة المتميزة روح الإسلام أخلاق الإسلام أثر القرآن أثر التربية النبوية الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها بقليلٍ قليل من الظلم لا يلحق بالناس ولا ببشر بنملة، بنملة لم يكن ليفعل.

هكذا هو دخل عليه ابن عباس أحد أنصاره وأحد قادته، دخل عليه بذي قار وهو في طريقه إلى حرب الجمل وهو يخصف نعله بنفسه فقال عليه السلام يخاطب ابن عباس: «**ما قيمة هذه النعل**»؟ **واحدة من حذائه ما قيمة هذه النعل، فقال ابن عباس: لا قيمة لها، فقال عليه السلام: «والله لهي أحب إلي من إمرتكم إلا أن أقيم حقاً أو أدفع باطلاً»**.

الإمرة والسلطة والموقع الأعلى في القيادة ليس له أي قيمة عند علي عليه السلام إذا لم يكن لإحقاق حق إذا لم يكن لدفع باطل إذا كان فقط لمجرد التحكم والسيطرة والتسلط، وأن يكون الإنسان يحظى بمسمى وظيفي عالي ويكون لديه صلاحيات واقتدار يحقق لنفسه مكاسب شخصية فهو بور هو جهنم هو عذاب هو شقاء ليس له أي قيمة؛ بل ووبال على صاحبه «**والله – واحدة مفردة واحدة من حذائه نعل – لهي أحب إليّ من إمرتكم هذه إلاّ أن أقيم حقاً أو أدفع باطلاً**».

فالقيمة للموقع في السلطة والاقتدار الذي يكسبه الإنسان من موقعه في السلطة هي بقدر ما تقيم من الحق وبقدر ما تدفع من الباطل بقدر ما تقيم من العدل وتحققه من العدل، فهكذا هو علي عليه السلام في عدله وكان فعله مصداقاً لقوله وسيرته تشهد وتاريخ حكمه برغم ما واجه من المشاق والعوائق الكبيرة متميز.[١٧]

محاربة الفساد

الإمام علي لم يقرّ أبداً معاوية والياً على الشام وعندما استشهد بقول الله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً﴾ (الكهف: من الآية٥١) إن معاوية رجل مضل، يضل أمة، ومعنى أن تُضِل أمة بعد أن جاء هدي الله، بعد أن جاء نور القرآن، بعد أن بعث الله محمداً (صلوات الله وسلامه عليه) ماذا يكون إضلالك؟ هل يكون إلا صرفاً للأمة عن القرآن، صرفاً للأمة عن محمد، صرفاً للأمة عن دين الله، عن الإسلام، عن هدي الله.

(١٧) ذكرى الاستشهاد١٤٣٣هـ.

إن معاوية مضل، وقد بقي فترة طويلة على بُعدٍ من عاصمة الدولة الإسلامية، أضل أمة بأسرها، أقام لنفسه دولة في ظل الخلافة الإسلامية.. وعندما حصل الصراع بين الإمام علي (عليه السلام) وبين معاوية وجاءت معركة [صفين] استطاع معاوية أن يحشد جيشاً كثير العدد والعدة أكثر من جيش الخليفة نفسه! أكثر عدداً وأقوى عدة من جيش الخليفة نفسه! وكان ذلك الجيش الذي حشده إلى ساحة [صفين] مجاميع من تلك الأمة التي أضلها معاوية.

لما أضلها معاوية انطلقت تلك الأمة لتقف في صف الباطل، لتقف في وجه الحق، لتقف في وجه النور، لتقف في وجه العدالة، في وجه الخير، تقف مع ابن آكلة الأكباد، مع ابن أبي سفيان، ضد وصي رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، ضد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، الذي قال فيه الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله): «**أنت مني بمنزلة هارون من موسى**».

إنه الضلال، وما أخطر الضلال، ما أخطر الضلال وما أسوأ آثار ونتائج وعواقب الضلال! وما أفظع خسارة المضلين عند الله، ما أشد خسارتهم، وما أفظع خسارتهم في هذه الدنيا ويوم يلقون الله سبحانه وتعالى، وقد أضلوا عباده!.

الإمام علي (عليه السلام) هو يعلم أن أخطر شيء على الأمة، أن أخطر شيء على البشرية هو الضلال والمضلون، لذلك وهو من يعرف واجب السلطة في الإسلام، ويعرف مهمة الدولة في الإسلام، ويعرف مهمة الخلافة الإسلامية، يرى أنه لا يمكن بحال أن يقرَّ شخصاً مضلاً على منطقة في ظل دولته وإن كانت النتيجة هي تَقْويض خلافته واستشهاده.. كان يقول: «**إن خلافتكم هذه لا تساوي عندي شراك نعلي هذا إلا أن أقيم حقاً أو أميت باطلاً**».

لماذا؟ قد يستغرب أي شخص منا عندما يسمع كلاماً لأمير المؤمنين (عليه السلام) كهذا... أنت حريص على أن تزيل معاوية من موقعه حتى لو كان الثمن هو تقويض خلافتك، إزاحتك عن هذا المنصب، استشهادك.! الإمام علي (عليه السلام) يرى كل هذا سهلاً، ولا أن يبقى معاوية دقيقة واحدة على رقاب الأمة؛ لأن علياً لم يكن من أولئك الذين يحرصون على مناصبهم، وليكن الثمن هو الدين، وليكن الثمن هو الأمة، ومصالح الأمة، ومستقبل الأمة، وعزة الأمة وكرامتها.

الإمام علي يعرف أن من يعشق السلطة، أن من يعشق المنصب هو نفسه من يمكن أن يبقي مثل معاوية على الشام، هو نفسه من يمكن أن يبيع دين الأمة، أن يبيع الدين الإسلامي، هو نفسه من يمكن أن يبيع الأمة بأكملها مقابل أن تسلم له ولايته، وأن يسلم له كرسيه ومنصبه.

وهل عانت الأمة من ذلك اليوم إلى الآن إلا من هذه النوعية من الحاكمين! هذه النوعية التي

نراها ماثلة أمامنا على طول وعرض البلاد الإسلامية لما كانوا من هذا النوع الذي لم يتلق درساً من علي (عليه السلام) الذي كان قدوة يمكن أن يحتذي به من يصل إلى السلطة، قدوة للآباء في التربية، قدوة للسلاطين في الحكم، قدوة للدعاة في الدعوة، قدوة للمعلمين في التعليم، قدوة للمجاهدين في ميادين القتال، قدوة لكل ما يمكن أن يستلهمه الإنسان من خير ومجد وعز. أولئك الذين لم يعيشوا هذه الروحية التي عاشها الإمام علي (عليه السلام) في اليوم الأول من خلافته، فأرى الجميع أن خلافته عنده لا تساوي شراك نعله إذا لم يقم حقاً ويمت باطلاً.

ما قيمتها إذاً! ما قيمة دولة تحكم باسم الإسلام، ويتربع زعيمها على رقاب المسلمين، وعلى عرش البلد الإسلامي، ثم لا يكون همه أن يحيي الحق ويميت الباطل؟. لا قيمة لها، ليس فقط لا قيمة لها، بل ستتحول قيمتها إلى شيء آخر، ستتحول الأمور إلى أن يكون قيمتها هو الدين، إلى أن يكون قيمتها هو الأمة. (١٨)

من توصيات الامام علي لكل صاحب مسؤولية

«أَمَرَهُ بِتَقْوَى اللهِ، وَإِيثَارِ طَاعَتِهِ، وَاتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ: مِنْ فَرَائِضِهِ وَسُنَنِهِ، الَّتِي لاَ يَسْعَدُ أَحَدٌ إِلاَّ بِاتِّبَاعِهَا، وَلاَ يَشْقَى إِلاَّ مَعَ جُحُودِهَا وَإِضَاعَتِهَا، وَأَنْ يَنْصُرَ اللهَ سُبْحَانَهُ بِقَلْبِهِ وَيَدِهِ وَلِسَانِهِ، فَإِنَّهُ، جَلَّ اسْمُهُ، قَدْ تَكَفَّلَ بِنَصْرِ مَنْ نَصَرَهُ، وَإِعْزَازِ مَنْ أَعَزَّهُ. وَأَمَرَهُ أَنْ يَكْسِرَ نَفْسَهُ عِنْدَ الشَّهَوَاتِ، وَيَزَعَهَا عِنْدَ الجَمَحَاتِ، فَإِنَّ النَّفْسَ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ، إِلاَّ مَا رَحِمَ اللهُ.

ثُمَّ اعْلَمْ يَا مَالِكُ؛ أَنِّي قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلاَدٍ قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دُوَلٌ قَبْلَكَ، مِنْ عَدْلٍ وَجَوْرٍ، وَأَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ فِي مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُورِ الْوُلاَةِ قَبْلَكَ، وَيَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِيهِمْ، وإِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحِينَ بِمَا يُجْرِي اللهُ لَهُمْ عَلَى أَلْسُنِ عِبَادِهِ.

فَلْيَكُنْ أَحَبَّ الذَّخَائِرِ إِلَيْكَ ذَخِيرَةُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، فَامْلِكْ هَوَاكَ، وَشُحَّ بِنَفْسِكَ عَمَّا لاَ يَحِلُّ لَكَ، فَإِنَّ الشُّحَّ بِالنَّفْسِ الإِنْصَافُ مِنْهَا فِيمَا أَحْبَبْتَ أَو كَرِهْتَ.

وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، وَالمَحَبَّةَ لَهُمْ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ، وَلاَ تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإِمّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الخَلْقِ».

الله! ما أعظم هذه المعادلة، وما أعظم هذه الأُسس، وما أرقى هذه التوجيهات – كيف يربّيه حتى في المستوى الوجداني، والنفسي، والشعوري تجاه الرعية. ثم يقدم له أساساً مهماً في التعاطي معهم.

(١٨) دروس من وحي عاشوراء/ ص٣.

«فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الخَلْقِ، يَفْرُطُ مِنْهُمُ الزَّلَلُ، وَتَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلَلُ، وَيُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي العَمْدِ وَالخَطَأِ، فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلِ الَّذِي تُحِبُّ أَنْ يُعْطِيَكَ اللهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ، فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ، ووَالِي الأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ، وَاللهُ فَوْقَ مَنْ وَلاَّكَ! وَقَدِ اسْتَكْفَاكَ أَمْرَهُمْ، وَابْتَلاَكَ بِهِمْ».

ثم يقول له مُحذِّراً له من الظلم ومن الاستبداد: «وَلاَ تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ اللهِ» لأن من يتسلط على عباد الله بالظلم والجور ويستغل منصبه ومسؤوليته في الجبروت والظلم للناس هو يدخل في خصومة مباشرة مع الله.

«وَلاَ تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ اللهِ، فَإِنَّهُ لاَ يَدَ لَكَ بِنِقْمَتِهِ، وَلاَ غِنَى بِكَ عَنْ عَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ. وَلاَ تَنْدَمَنَّ عَلَى عَفْوٍ، وَلاَ تَبْجَحَنَّ بِعُقُوبَةٍ، وَلاَ تُسْرِعَنَّ إِلَى بَادِرَةٍ وَجَدْتَ مِنْهَا مَنْدُوحَةً، وَلاَ تَقُولَنَّ: إِنِّي مُؤَمَّرٌ آمُرُ فَأُطَاعُ، فَإِنَّ ذلِكَ إِدْغَالٌ فِي الْقَلْبِ، وَمَنْهَكَةٌ لِلدِّينِ، وَتَقَرُّبٌ مِنَ الْغِيَرِ. وَإِذَا أَحْدَثَ لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أُبَّهَةً أَوْ مَخِيلَةً».

تعاظمت نفسك أنك قد أصبحت والياً، وحاكماً لديك جيش، لديك إمكانيات.. إلى غير ذلك، «فأحدَثَ لك هذا أُبَّهة، أو مَخِيلَة.

فَانْظُرْ إِلَى عِظَمِ مُلْكِ اللهِ فَوْقَكَ، وَقُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلَى مَا لاَ تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ، فَإِنَّ ذلِكَ يُطَامِنُ إِلَيْكَ مِنْ طِمَاحِكَ، وَيَكُفُّ عَنْكَ مِنْ غَرْبِكَ، ويَفِيءُ إِلَيْكَ بِمَا عَزَبَ عَنْكَ مِنْ عَقْلِكَ».

ثم يُحذِّره من عوارض المسؤولية التي يُبتَلَى بها البعض من حالة التعاظم، أو الإستكبار، أو التعالي، أو التغطرس؛ لأنه صار حاكماً، أو زعيماً، أو مسؤولاً: «إِيَّاكَ وَمُسَامَاةَ اللهِ فِي عَظَمَتِهِ، وَالتَّشَبُّهَ بِهِ فِي جَبَرُوتِهِ، فَإِنَّ اللهَ يُذِلُّ كُلَّ جَبَّارٍ، وَيُهِينُ كُلَّ مُخْتَالٍ».

ثم يوجّهه توجيهاً عظيماً ومهماً على أساس من العدل: «أَنْصِفِ اللهَ وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ، وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ، وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوىً مِنْ رَعِيَّتِكَ، فَإِنَّكَ إِلاَّ تَفْعَلْ تَظْلِمْ، وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللهِ كَانَ اللهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ، وَمَنْ خَاصَمَهُ اللهُ أَدْحَضَ حُجَّتَهُ، وَكَانَ لله حَرْباً حَتَّى يَنْزِعَ أَوْ يَتُوبَ..».

وهكذا يستمر في تقديم توجيهات ثمينة وعظيمة لم نسمع بها لأي حاكم أو زعيم، ونجد أنفسنا كمسلمين أحوج ما نكون إلى استرجاع تلك القِيَم، والمبادئ، والأخلاق لتكون حاضرة

في واقعنا وفي حياتنا في مستوى المسؤولية، وفي كل واقع الحياة[١٩]

تنبيه لكل صاحب مسؤولية

كان الإمام علي (عليه السلام) يحذِّر، وعندما كان يحذر كان يوجه تحذيره إلى جيشه، إلى أصحابه، وليس إلى أولئك إلى جيش معاوية، يقول لأهل العراق: «**والله إني لأخشى أن يدال هؤلاء القوم منكم لاجتماعهم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم**». كان جيش معاوية يجتمعون تحت رايته لكن أصحاب الإمام علي كانوا يتخاذلون ويتثاقلون، والتفرق قائم بينهم، لا يتحركون إلا بعد عناء وتعب شديد وتحريض مستمر.

ما الذي جعلهم على هذا النحو؟ هو قلة إيمانهم فلهذا كان زين العابدين (عليه السلام) يوم صاغ هذا الدعاء [دعاء مكارم الأخلاق] صدّره بهذه الفقرة المهمة «**اللهم بلغ بإيماني أكمل الإيمان**» فأنا رأيت ما عمله في الأمة، ما عمله في الإسلام ضعف الإيمان، ما عمله الإيمان الناقص من آثار سيئة، عدم وعي إلى درجة رهيبة أن يكون أولئك الناس الذي بينهم علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، لكنهم كانوا عندما يرون أنفسهم لا يخافون عليا يأمنون جانبه، كان يكثر شقاقهم، ونفاقهم، وكلامهم، ومخالفاتهم، وتحليلاتهم وتمردهم، وأذيتهم.

هكذا يعمل الناس الذين وعيهم قليل، من لا يعرفون الرجال، من لا يقدرون القادة المهمين، لأني أنا آمن جانب علي لا أخاف أن يقتلني على التهمة أو الظِنة كما كان يعمل معاوية، لا أخاف أن يدبر لي اغتيالا، لا أخاف أن يصنع لي مشاكل، لا أخاف أن يوجد لي خصوماً يصنعهم من هنا أو من هنا فكانوا يأمنون جانبه.

وفعلا من الذي سيخاف من الإمام علي أن يمكر به، أو يخدعه، أو يضره، أو يؤلب عليه خصوما من هنا وهناك، كما يعمل الكثير من [المشايخ]؟ أليس الكثير من المشايخ يعملون هكذا؟ إذا لم تسر في طريقه يحاول أن يمسك عليك بعض وثائقك [بعض البصائر] ويحاول أن يوجد لك غريما من هناك وغريما من هنا؛ لترجع إليه راغما، الناس الذين وعيهم قاصر، إيمانهم ضعيف هم الذين يعيشون حالة كهذه، كلام كثير وتحدي وتحليلات وتثاقل وتثبيط، وهم في ظل شخص عظيم كعلي بن أبي طالب (عليه السلام)؛ لأنهم يأمنونه.

انظر إلى شخص ذلك القائد العظيم، سترى نفسك آمنا في ظله، إذاً هو الشخص الذي يجب أن أكون وفياً معه، إن حالة الشعور نحوه بأنني آمن جانبه يعني أنه رجل عدل، رجل إيمان، رجل حكمة، فهذا هو الذي يجب أن أفي معه أن أقف بجانبه وأن أضحي تحت رايته

(١٩) خطاب الولاية ١٤٣٥هـ.

بنفسي ومالي، هي الحالة التي لا يحصل عليها أتباع الطواغيت حتى أبناؤهم، حتى أسرهم، حتى أقرب المقربين إليهم لا يحصلون على هذه الحالة؛ لأنه يعرف ربما ابنه يخدعه، يمكر به ويأخذ السلطة، ربما قائده ذلك العظيم يخدعه ويمكر به ويأخذ السلطة، فهو يخطط له في الوقت الذي هو ينفذ مهامه، القائد يخاف، وهو يخاف، المستشار خائف منه، وهو خائف من مستشاره، هكذا، ومن يعرف الدول هكذا يكون حالهم.

الدول الطاغوتية هكذا يكون حال الناس فيها، وهكذا يخاف الناس حتى وهم يعملون لله. أليس هذا هو ما يحصل؟ في البلاد الإسلامية على طولها وعرضها، من هو ذلك المؤمن الذي يقول كلمة حق وهو لا يخاف، يخاف أولئك الذين هم من كان يجب أن يصدعوا بالحق، وأن يعلوا رأس هذه الأمة، وأن يرفعوا رايتها؟! لكن هكذا يصنع ضعف الإيمان. فمتى ما جاء لأهل العراق كصدام كالحجاج انقادوا وخضعوا وتجاوبوا وخرجوا بنصف كلمة، نصف كلمة يصدرها فيتجاوبون سريعاً!.

لكن الإمام عليا (عليه السلام) كان يقول: «**قاتلكم الله يا أهل العراق لقد ملأتم صدري قيحاً**» **وكان يوبخهم** «**يا أشباه الرجال ولا رجال**» يوبخهم، لا يخرجون ولا يتحركون، إلا بعد الخطب البليغة، والكلمات الجزلة، والكلمات المعاتبة، والكلمات الموبخة، والكلمات المتوعدة بسخط الله، والمتوعدة بسوء العاقبة في الدنيا حتى يخرجوا، فإذا ما خرجوا خرجوا متثاقلين؛ لأنهم كانوا يأمنون جانبه.

هل هذا هو السلوك الصحيح لأمة يقودها مثل علي؟ ثم إذا ما قادها مثل الحجاج ومثل يزيد ومثل صدام تنقاد ويكفيها نصف كلمة!. ما هذا إلا ضعف الإيمان، ضعف الوعي، عدم البصيرة.

في ذلك الوقت الذي كانت تثير تلك الحالة دهشة القليل من أصحاب الإمام علي (عليه السلام)، الذين كانوا يعرفون عظمة ذلك الرجل، ثم يندهشون وهم ينظرون إلى تلك المجاميع الكثيرة الشقاق والنفاق والتثبط والتراخي والكلمة المفسدة المثبطة من أطرف منافق فيهم تحطمهم وتجعلهم يتقاعدون، كان هناك مجموعة لكنها كانت قليلة.

وهل أن الإمام عليا (عليه السلام) لم يكن يعمل على أن يصنع لدى الآخرين بصيرة، بل كانت خطبه خطب مهمة جدا، خطب مهمة جدا قادرة على أن تحول الرجال إلى كتل من الحديد، لكنهم أولئك الذين كانوا لا يفتحون آذانهم.

هذه هي مشكلة الناس، مشكلة الناس في كل زمان، في أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، في أيام الإمام علي (عليه السلام)، في كل زمان، الذين لا يفتحون آذانهم لا

يمكن أن يؤثر فيهم أي شيء، هم الذين يعجزون القرآن، ويعجزون محمداً، ويعجزون عليا، ويعجزون كل أولياء الله، يجعلونهم عاجزين أمامهم، الذين لا يفتحون آذانهم، أو يفتحونها فترة ثم يضعون لأنفسهم خطا معينا ويرون بأنهم قد اكتفوا، هؤلاء هم من تكثر جنايتهم على الأمة، وعلى الدين جيلا بعد جيل[٢٠].

(٢٠) في ظلال مكارم الاخلاق الدرس الاول.